

الدين كبرية عامة في مقومات القومية العربية
وأجل رسالة للتقدم البشري

للاستاذ حسنى طه شكيان

وبناء الحضارة الإنسانية على مبادئ
الخير والعدالة والمساواة والإخاء
وتقديس الحق والجمال والحياة .
الدين بمعنى المثاليات الداعية للتفكير
في سر الحياة ، وعلى أنها فيض الحق
الأزلى ، وليست نبع المادة الجامدة ،
وليست نهايتها هنا على الأرض ، وإنما
وراءها مجال للرقى في عالم الخلود والنور
والإشراق .

الدين بمعنى المثاليات المنظمة
لحكومة الدولة وصلاتها بغيرها على
أساس احترام الحقوق ، وتقديس
كرامة الإنسان ، والتعاون المثمر في
سبيل تطوير الحضارة البشرية نحو
الكمال .

الدين بهذا المفهوم :

(١) هو أساس حضارات الإنسانية

قديمًا .

(٢) وهو هو أساس حضاراتنا

القادمة ، ولذلك أكدته دستورنا
اليوم .

الدين بمعنى مجموع المثاليات العليا في
التفكير والخلق والاتجاه والعمل .

الدين بمعنى المثاليات التي تدعو
الإنسان للتفكير في هذا الوجود :
أرضه وسمائه ، مادته وحياته ، أزله
القديم ، وحاضره القائم ، ومستقبله
السعيد المرتقب .

الدين بمعنى المثاليات الداعية للتفكير
في مصدر الوجود الأعظم ، واهب
الحياة ، ومبدع الكون ، ومدير
الأمور ، والتعرف على آيات مجده في
صناعة الوجود ، وشكر نعمه على
ما أفاض على الكائنات من عطاء ، وهيا
للإنسان أكرم كيان ، فجعله خليفته
الأكبر في الأرض فسخرها له ، وسخر
له ما فيها .

الدين بمعنى المثاليات الداعية للتخلق
بالسجايا النبيلة والمثل العليا ، والسعي
الحثيث في سبيل إسعاد البشرية ، بعد
إنقاذها من فوضى الضلال والانحلال ،

(٣) وهو هو أكبر دعامة للقومية العربية ، ودعامة كل نهضة أسسها فريقية قادمة ، وأساس حضارة الإنسانية القادمة في أوروبا وأمريكا وروسيا - قريبا كان ذلك أو بعيداً - فما شقيت الإنسانية وتشقى إلا لبعدها عن مبادئه الكريمة .

الدين بهذا المفهوم :

جاء به آدم فعلم أبناءه طرائق الحياة وقدسية الكمال في تطور الحياة ، ثم جاء به من بعده كل نبي كريم من لدن الله العظيم ، جاء به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فدين الله الذي بعث به رسله واحد منذ كان آدم حتى محمد صلى الله عليهم أجمعين . قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » فأتباع نوح مسلمون قال الله عنه في خطابه لقومه :

« فان توليتم فاسألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين . »

وأتباع إبراهيم وموسى وعيسى مسلمون . قال تعالى عن إبراهيم وأبنائه : « ورضى بها إبراهيم بنه ويعقوب : ياتى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . »

وعن موسى وقومه : « وقال

موسى : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . وعن عيسى وأتباعه :

« فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله . قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . »

الدين بهذا المفهوم هو لإسلام الوجه والقلب والضمير لله لتحقيق أكرم رسالة على الأرض . رسالة الخير والحق حتى يكون الإنسان ربانيا كريما . .

رسالة سعى في سبيلها كل رسول ومصلح . .

وتطلع إليها سيدنا عيسى حين قال في إنجيله :

« ليأت ملكوتك يا الله ، وبشر كثير آبقدوم ملكوت السموات على الأرض وفي القلوب . »

وقال عنها القرآن الكريم : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة »

ولذلك كان عليه أن ينطق في كل مجال ليسخر جميع الطاقات في الأرض وأعماقها ، والمحيطات وشرواتها ، والجبال وسفوحها ، والجو وطبقاته .

في المادة وفي الحياة . وحتى يجعل من
الأرض مسكناً للنور والحكمة ،
ومهداً للسعادة والسلام .

الدين بهذا المفهوم لم يجد مجالا أكرم
من رسالات الأنبياء ، ولا صورة أتم
من دعوات موسى وعيسى ومحمد
صلوات الله عليهم أجمعين .

وحين كان اليهود على هداه اختارهم
الله على علم ، وحين تنكروا لتعاليم
الحق وقتلوا الأنبياء ناداهم يحيى وداود
وعيسى عليهم الصلاة والسلام فقالوا
لهم : يا أبناء الأفاعي ولعنوهم أشد
لعنه :

« لعن الذين كفروا من بني
إسرائيل على لسان داود وعيسى بن
مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتقدون
كانوا لا يمتاھون عن منكر فعلوه ،
لبئس ما كانوا يفعلون .

وقال الله عن أتباع عيسى مؤيداً
لهم ضد من كفر به من اليهود
وغيرهم :

إذا قال الله يا عيسى إني متوفيك
ورافعك إلى ومطهرك من الذين
كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق
الذين كفروا إلى يوم القيامة .

وقال عن أمة محمد الكريم
وملته : « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم

المسلمين من قبل ، وفي هذا ليسكون
الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء
على الناس .

كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله . .

الدين بهذا المفهوم لم يجد أروع من
هذه الكلمات المضيفة الداعية والدافعة
لخير الإنسانية . ففي التوراة :

« تحب قريبك كنفسك ، سفر
اللاويين وفيه : « كالوطى منكم يكون
لكم الغريب النازل عندكم ، وتحبه
كنفسك . » وفي سفر الخروج : قيل
للناس إن الحياة الصالحة أعلى درجة
ورحمة من حياة العداوة والبغضاء . »
وتجدي أسفار عانوس وأشعيا وغيرهما
دعوات حارة لمكافحة الفقر والحرب
والبغضاء وتمجيد الرحمة والتعاون ،
وفي سفر الأمثال تقرأ مثلاً :

« القليل من العدل خير من الغلال
الكثيرة بغير حق . » « لا تقل :
أجزى على الشر ، ولا تقل : كما صنع
بي هكذا أصنع به ، ومن سفر الخروج
— (إصحاح ٢١) تقرأ : « وإذا بغى
إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فن عند
مذبحي تأخذه الموت . » (١٤) ومن
ضرب أباه وأمه يقتل قتلاً . (٥)
ومن سرق إنساناً وباعه أو وجد في

يده يقتل قتلا . (١٦) . وإن حصلت
أذية تعطى نفساً بنفس (٢٣) وعينا
بعين ، وسنابسن ويدياً بيد ، ورجلاً
برجل . (٢٤)

وفي إصحاح (٢٢) تقرأ : ولا تضطهد
الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء
في أرض مصر . (٢١) لا تنسى إلى
أرملة أو يتيم . (٢٢)

وفي إنجيل عيسى : ملكوت الله
في داخلكم .

ومن سيرك ميلا فسر معه ميلين ،
ومن نازلك ثوبك فاخلك له الرداء
أيضاً . من لطمك على خدك الأيمن
فأدر له الأيسر أيضاً .

ودعا إلى التسامح الكريم : لا تقابلوا
الشر بالشر . أحبوا أعداءكم ،
وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا إلى
مبغضيكم وعملوا من أجل الذين
يسبئون إليكم ، وإن سلمتم على إخوانكم
فقط وجافيتم الغريب عنكم فأى فضل
تصنعون .

وجمع رسالته في تحرير الإنسانية
من آصار العبودية : روح الرب
على لأن الرب مسحني لأبشر
المساكين ، أرسلني لأعصب منكسري
القلب ؛ لأناوئ للمسبيين بالعق ،
وللمأسورين بالانطلاق . وللعمى
بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية .

ثم جمع كيان الحياة في كلمة : الله
محبة .

أما في القرآن الكريم فتقرأ :
وأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى ، وجعلناكم شعوباً ، وقبائل ،
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .
وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا
بالعدل . ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى
الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين .
ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
أدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم . ويرفع
قدر الصالح لمنازل النبيين :

ومن يطع الله والرسول فأولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقاً

وقال نبي الإسلام : بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق .
مؤتمر قادة التعبئة :

لقد تحدث السادة المحاضرون
الكرام عن مقومات القومية العربية
من التاريخ المشترك ، والتجاوب
الفكري ، والوحدة الثقافية والطبيعية
التي تعطى أكثر مما تأخذ ، وتقوم
على التضحية . والإيثار ، والمقاليد
المشتركة ، والموقع الجغرافي المتشابه
والمتمكامل واللغة والتجانس . تحدثوا

عن كل ذلك شرحاً وإفاضة ثم قال
الاستاذ محمد سعيد العريان : إن
إهمالنا الدين في الحديث عن مقومات
القومية العربية إنما هو أثر من
الاستعمار حين كان يشير المنازعات باسم
الدين والتعصب ليعيش هو في هذا
الجار وتحت اسم حماية الأقليات . أما
الحقيقة فتحزن جميعا عرب تؤمن بالله
وإن عبده هذا على الديانة المسيحية ،
وعبده هذا على الإسلام .

ولتفصيل هذه الفكرة عقدت هذا
البحث الكريم . فالواقع الذي لامرأ
فيه أن كل هذه المقومات التي ذكرها
الاستاذة الكرام إنما هي آثار الدين
وفروعه فهي الدعامة الكبرى التي
تفرعت منها هذه المقومات ، وحتى
الموقع الجغرافي إنما هو من اختيار
السماء لهذه الأمة المجيدة التي عاشت
في رحابها كل الديانات السماوية
تقريباً .

وحتى الديانات الأرضية كانت في
الشرق ، فزادشت في فارس ،
وكونفوشيوس في الصين ، وبوذا في
الهند ، إنما هم رجال الشرق ، وليس عجيباً
أن يكرنوا أنبياء فقد قال القرآن العظيم :
« ورسلاً قد قصصناهم عليك من
قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك » .

وقال رسول الإنسانية : « إن
لله مائة ألف وأربعة وعشرين ألف
نبي » ، ففي جو مبادئ هذه الديانات
الكريمة جاء هؤلاء الدعاة الكرام .
وحتى عندما خلا الإنسان يفكر
في الوجود والإصلاح لم تخرج فلسفته
على مدى القرون وعلى وفرة من
تحدثوا - لم يخرجوا على الإنسانية
بجد يد عما جاء في ديانات الشرق
الكريم .

والمرة الوحيدة التي ظهر فيها فيلسوف
غربي يشبه أن يكون نبياً - ونعني
به سقراط في اليونان كان على مشارف
الشرق وتلميذه أفلاطون تلميذ للشرق
أيضاً فأثر في أرسطو بأثرين شرقى
وغربى .

وعلى هذه المبادئ انطلق قائد
العروبة جمال عبد الناصر يعمل لمؤتمر
بانندونج بجمع الدول الآسيو أفريقية
في صعيد واحد وفكرة واحدة هي
نزع هذه الديانات ومن مبادئ الكريمة
فالتعايش السلمى ، والتعاون ، والحياد
الإيجابى ، وتحريم الحروب والتجارب
النزوية ، وتوجيه الذرة للخدمة السلام ،
وتحرير الشعوب المستعبدة . كل أولئك
سطور كريمة في الدين حيث كان .

وقد وجدت مبادئ الإنسانية
كالحل وسماها في الإسلام حين جاء به

وهي باسم هذه السيطرة قضت ونقضت
وحاربت الشعوب المسيحية ونهضتها
في قبرص وفي جبل طارق وإيرلندا
وأمریکا وأستراليا والحبشة وغيرها
بالأمس فلنحط للدين حقّه من التكريم
ولنقدر حق أنفسنا ، فنحن ما ندعو
إلى ضلالة حين نقول :

إننا باسم الدين المشتمل على
مبادئ الحضارة الانسانية والذي
انبعث منه كل مقومات القومية
العربية منذ كان في الشرق العربي انسان
حتى موسى وعيسى ومحمد وذرية ابراهيم
الشرقي العربي عليهم الصلاة والسلام .
باسمهم وعلى هدها نتطلق .

إننا اليوم باسمه نقيم دولتنا العربية
الكبرى ، وباسمهم نقيم الحلف الانسيو
فريق الكريم ، وباسمهم نقيم الحلف
الاسلامي العربي الانسيو فريق ،
وباسمهم نقدم لآوروبا وأمريكا مبادئ
الخير والحق ، ولرومسيا مبادئ
الايمان ونور الحكمة في فهم طبيعة
الوجود والحياة حتى تبني الانسانية
لنفسها حضارة الخلود في الأرض
وفي السماء تحقيقاً لأروع رسالة تحدث
عنها القرآن الكريم حين قال الله تعالى
« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل
في الأرض خليفة (٢٠) » وكذلك
بعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
والسلام على من اتبع الهدى
هذا ولنا عودة إن شاء الله

في العروبة وهادي العالمين محمد
الكريم ، وبه وجدت المبادئ قائد
موكب التحرير الأكبر ، ورائد ركب
الحضارة الإنسانية ؛ ومنذ جاء
والانسانية في طريقها إلى الكمال
البشري ، وهي واصلة إليه يوما ما .
- قريبا إن شاء الله تعالى -

« ولتعلمن نبأه بعد حين » ، وما
عرفت القومية العربية وجوداً قبل
رسول الاسلام لقد كانت شعوبا مشتتة
مستعبدة لفارس والروم فجاء إليها
وحررها ، فاندفعت إليه باسم المبادئ
التي جاء بها تدخل في دينه ، أو تقف
بجانبه ضد فارس ، ذلك أن المسيحية
لم تعرف لها وجوداً كما وجدت في
الشرق العربي ومن هنا انطلقت
الشعوب تستقبل جيوش الاسلام ، بل
وقف المسيحيون بجانب إخوانهم
المسلمين خلف صلاح الدين الأيوبي
عند الصليبيين الرومانيين بالأمس
ووقف المسيحيون مع المسلمين خلف
جمال عبد الناصر في بور سعيد وسيناء
اليوم . باسم المبادئ الواحدة التي جعلت
لكل مقومات العروبة كيانا فيما بعد .
ذلك أنه ما حاربت روما باسم
المسيحية بالأمس ، وما حاربت
لندن وباريس باسم المسيحية اليوم
ولأنما باسم السيطرة والاستعلاء
والطغيان ، الذي يبرأ منه السيد المسيح

كلمات للشبلي

(١) سئل الشبلي عن الزهد فقال : « تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء » .

(٢) قال الشبلي :

كيف يصح لك التوحيد ، وكلما ملكك شيئاً ملكك ، وكلما أبصرت شيئاً أسرك . .

(٣) ومن كلماته : الصوفي إذا استقبله حالان أو خلقان كلاهما حسن كان مع الأحسن .

(٤) روى الطوسي في اللمع قال : كان دعاء الشبلي : اللهم لك الحمد يا ضياء السموات والأرض ، يا بهاء السموات والأرض ، يا قيوم السموات والأرض ، يا نور السموات والأرض ، بحق أسمائك عليك ، وبحقك عليك ، فلاحق أجل منك عليك ، وبحق ما أنزلت وبحق من جعلت له فهما ، فيما أنزلت يا الله . ويامن لاسواك الله ويامن أنت الله ، صلى الله على محمد ، وعلى آل محمد : ويقول الطوسي : دعاء مجرب مجاب

(٥) قال صاحب الرسالة من روائع مناجاة الشبلي

ذكرتك لا أنى نسيته لحمة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجود أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد إنك حاضري شهادتك موجودا بكل أمان
نظا طبت موجودا بغير تكلم ولاحظت معلوما بغير عيان

(٦) ومن تعريفاته للتصوف : « التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك : »